الفصل الأول

صقلية فى المصادر التاريخية

صقلية جزيرة كبيرة فى جنوب إيطاليا، وفى قلب البحر المتوسط[١]. لها هيئة مثلثة الشكل[٢]؛ تحاذيها من بلاد العرب أفريقية (تونس)[٣]؛ وهى تعنى فى اللسان القديم التين والزيتون[٤].

ويفصل جزيرة صقلية عن إيطاليا مضيق (مسينة)[٥] الضيق؛ ولذلك فإن الجزيرة امتداد جغرافى لشبه الجزيرة الإيطالية، كما تقع الجزيرة من الناحية الأخرى على مسافة يسهل عبورها بحراً من الشمال الأفريقى.

وهى جزيرة خصبة كثيرة البلدان والقرى والأمصار؛ أدرك أهميتها المسلمون؛ باعتبارها موقعاً شديد الخطر على بلاد المسلمين خاصة وأن صقلية إلى جانب خصبها مركزاً هاماً للبحرية البيزنطية حيث كانت تخرج منها الأساطيل البيزنطية لمهاجمة السفن والمراكز الإسلامية المقابلة لصقلية فى الساحل الأفريقى الشمالى[٦]؛ وبالتالى فإن فتحها أمراً بات وشيك الوقوع.

وقد بدأ العرب بالإغارة على الجزيرة فى بداية العصر الإسلامى، ولكن كانت عملياتهم العسكرية، حينئذ عبارة عن إغارات سريعة يعقبها الانسحاب وكان تأسيس دولة الأغالبة القوية فى القيروان فى القرن الثالث الهجرى-التاسع الميلادى من العوامل التى حددت بداية مرحلة جديدة فى موقف العرب من صقلية. حيث وقع على مسلمى إفريقية فتح صقلية

---

(1) إبراهيم خورشيد (وآخرون): موجز دائرة المعارف الإسلامية، جـ٢١، ط١، ١٩٩٨م، ص٦٥٦٣.

(2) ابن حوقل (أبى القاسم النصيبى): صورة الأرض، ط٢، ليدن، ١٩٦٧م، القسم الأول، ص١١٨. ياقوت الحموى (شهاب الدين أبى عبد الله): معجم البلدان، م٥، ص٣٧٣.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١١٨.

(4) أميرنو رينزيتانو: منتخبات من كتاب الروض المعطار فى خبر الأقطار لابن عبد المنعم الحميرى (خاصة بالبقاع والجزر الإيطالية)، مجلة كلية الآداب، م١٨، جـ١، مايو ١٩٥٦م، ص١٥٩.

(5) هى رأس جزيرة صقلية. انظر: ابن جبير (أبى الحسين محمد بن حمد الكنالى الأندلسى)، رحلة ابن جبير، ص٢٢٤.

(6) عمر كمال توفيق: المجتمع العربى الإسلامى فى بالرمو، عالم الفكر، م١٤، ١٩٨٤م، ص١٧٧.

وإيطاليا فى هذه الفترة التى استقلت فيها إفريقية عن الخلافة العباسية فى بغداد؛ وأصبح منوطاً بها تأمين سواحلها ضد الهجمات التى يشنها الأسطول البيزنطى ضد بلاد المسلمين، فأوفد ثالث حكام الأغالبة زيادة الله وزيره (أسد بن الفرات) للقيام بهذه المهمة سنة ٢١٢هـ/ ٨٢٧م.

وخرج هذا القائد فى حملة ضخمة، استطاع من خلالها فتح الجزيرة، وأن يتخذ مدينة مازر[١] فى غرب الجزيرة حاضرة له، وبعدها فتح مدينة باليرم[٢] سنة ٢١٦هـ / ٨٣١م، ومسينى[٣] فى عام ٢٢٦هـ/ ٨٤٢ن، وبعدها قصر يانه[٤] عام ٢٤٥هـ/ ٨٥٩م، ثم سقطت سرقوسة[٥] عام ٢٦٤هـ/ ٨٧٨م، أما طبرمين[٦] فلم تسقط إلا فى عام ٢٨٩هـ/ ٩٠٢م، بعد حصار طويل لها؛ والملاحظ أن الأغالبة قضوا أكثر من سبعين عاماً حتى تم لهم فتح هذه الأجزاء من جزيرة صقلية وفرضوا سيطرتهم عليها؛ ومن صقلية أخذ المسلمون يتقدمون فى إيطاليا نفسها وكان أمراء صقلية فى أول الأمر يولون من قبل الأغالبة، الذين تركوا فى

---

(1) مدينة بجزيرة صقلية تلى قوصرة فى الجانب الغربى من الجزيرة: وهى مدينة مشهورة على الساحل الموازى لإفريقية، وتقع جنوب مدينة بلرم العاصمة، وتمتاز بأن الأغالبة قد أحاطوها بأسوار حصينة شاهقة، ومبانيها حسنة وبها أزقة واسعة وشوارع وأسواق عامرة بالتجارة وحمامات وخانات وبساتين، وذلك على زمن الحميرى (عبد المنعم): الروض المعطار فى خبر الأقطار. تحقيق: أمبرتو رينزيتانو: الجزء الخاص بالبقاع والجزر الإيطالية، مجلة كلية الآداب، م١٨، جـ١، سنة ١٩٥٦م، ص٧٥.

(2) وهى قاعدة بلاد الجزيرة ومدينتها العظمى، وهى دار الملك بصقلية زمن المسلمين والروم وهى على ساحل البحر، وفيها من المبانى الحسنة ما هو مشهور. وللمزيد انظر: أمبرتو ريتربتانو: الروض المعطار، ص١٤٦-١٤٧. ابن جبير: الرحلة، ص٢٣٠.

(3) هى رأس جزيرة صقلية وهى كثيرة المدن والعمائر، حتى أن ابن جبير قد أعجب بها وبما اشتملت عليه من عمائر، انظر: ابن جبير، الرحلة، ص٢٢٤.

(4) قصر يانه: من أعظم مدائن الروم بصقلية، فتحها العباس بن يزيد بن الفضل ابن يعقوب بن المضاء العامل بصقلية من قبل إبراهيم أحمد بن محمد بن الأغلب صاحب القيروان، نفسه، ص٢٨٩؛ أمبرتو رينزيتانو: الروض المعطار، ص١٧٠.

(5) هى مدينة لها ثلاثة أسوار وهى من أشهر المدن، يحيط بها البحر من جميع جهاتها وهى عامرة بالخانات والديار والحمامات والمبانى الرائعة والأفنية الواسعة، انظر: أمبرتو رينزيتانو: الروض المعطار، ص١٥٣، ابن الأثير (عز الدين بن الحسن على بن محمد)، الكامل فى التاريخ، جـ٧، ص١٢٧.

(6) حصن بصقلية مطل على البحر، فتحها إبراهيم بن الأغلب سنة ٢٨٩هـ، بعد حصارها حصاراً طويلاً. أمبرتو رينزيتانو: الروض المعطار، ص١٦٥.

صقلية ومدنها الكثير من آثارهم[١] التى لم يبق الزمن عليها شأنها شأن آثار الفترات التالية لحكمهم والتى أشارت إلى كثرتها المصادر التاريخية المعاصرة.

ولعل من الأمور الهامة التى ينبغى الإشارة إليها هنا فى هذا المقام هو وجود أربطة (رباطات) كثيرة على ساحل البحر، أوجدها هؤلاء الأغالبة كنقاط دفاع. لعلها تتماثل مع الرباطات التى لا زالت تحتفظ بها تونس ومدنها[٢]. لكن هذه الرباطات لم تلق إعجاب ابن حوقل وقال عنها إنها مملوءة بالرياء والنفاق والبطالين والفساق متمردين شيوخ وأحداث وأحسب تأسيها كان على غير التقوى حسب ما أسست عليه المساجد[٣].

وكانت صقلية مقسمة فى هذه الفترة إلى ثلاثة أقسام جغرافية هى إقليم مازر Valdi Mazara وإقليم نوطس Valdi Noto وإقليم دمنش Valdi Mone[٤]. والقسم الأول يقع إلى الغرب من الجزيرة وكانت له أهمية كبرى لوجود عدد كبير من المسلمين به. أما الولاية الثانية نوطس فكانت نسبة المسلمين فيها أقل، أما الولاية الثالثة الواقعة شرق الجزيرة فكان معظم سكانها من المسيحيين[٥]، وبهذا فإن مازر مثلت مركز الثقل بالنسبة للوجود الإسلامى وكان هؤلاء من أجناس مختلفة؛ من اليونان واللمبارد، واليهود، والعرب، والبربر، وكذلك بعض الفرس والسودان، وكان العرب يشكلون النخبة الحاكمة ويليهم أهمية البربر الذين كانوا قد قاموا بدور هام فى فتح الجزيرة.

وفى عهد هؤلاء الأغالبة كان الوالى العربى على صقلية يحمل لقب (أمير) أو (والِ) أو (صاحب)، ويتمتع بحرية كبيرة فكان يعلن الحرب ويُعقد الصلح بقرار منه، وكان يتولى

---

(1) كانت الجزيرة قليلة العمارة خاملة قبل الإسلام فلما فتح المسلمون بلاد إفريقية، هرب أهل إفريقية إليها فأقاموا بها فعمروها وأحسنوا عمارتها، ولما فتحها بنو الأغلب بنوا فيها الجوامع والمساجد الكثيرة لمحاربة النصرانية، وفى ذلك عمدوا إلى تحويل الكثير من الكنائس إلى مساجد، ولا أشك أن هذه العمائر الإسلامية قد تأثرت بعمائر الأغالبة فى تونس. انظر: الحموى، معجم البلدان، م٥، ص٣٧٤. سليمان مصطفى زبيس: بين الآثار الإسلامية فى تونس. منشورات دار الثقافة، تونس ١٩٦٣م، ص٧– ٨.

(2) سليمان مصطفى زبيس: المرجع نفسه، ص٨.

(3) ابن حوقل: صورة الأرض، ص١٢١.

(4) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية. نقله إلى العربية وقدم له أمين توفيق الطيبى، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٠م، ص٨.

(5) عمر كمال توفيق: المجتمع العربى الإسلامى فى بالرمو، ص١٧٩.

توزيع غنائم الحرب، والعملات التى ضربت فى صقلية فى المرحلة الأولى كانت تحمل اسم والى صقلية والأمير الأغلبى الحاكم فى إفريقية، أما العملات فيما بعد فكانت لا تحمل سوى أسماء الأمراء الأغالبة[١].

وبعد سقوط دولة الأغالبة وقيام الدولة الفاطمية، انتهى حكمهم للجزيرة عام ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م، وتولى الأمر فى هذه الجزيرة ولاة من قبل الخليفة الفاطمى فى المغرب[٢] حيث عين الخليفة الفاطمى عبيد الله المهدى وال سابق للجزيرة كان قد انحاز إلى الدعوة الفاطمية يدعى على بن أحمد بن أبى الفوارس، واستمر والياً على الجزيرة لمدة عام ثم عزل واستبدل به أحد رجال الفاطميين الأكثر إخلاصاً وهو الحسن بن أحمد المعروف بابن أبى خنزير[٣]، واستمر الحكم فى يد هؤلاء الفاطميين حتى رحل المعز لدين الله الفاطمى من بلاد المغرب إلى عاصمة ملكه القاهرة عام ٣٦٢هـ/ ٩٧٢م، وبرحيله إلى مصر قام بتقسيم ممتلكات الفاطميين فى المغرب بين حليفين له رئيسيين[٤]: الكلبيين[٥] الذين جعلهم نواباً عنه فى صقلية وبنى زيرى الصنهاجيين الذين جعلهم نواباً عنه فى حكم المغرب إلى جانب أسرتين قويتين فى الغرب الإسلامى إحداهما حكمت طرابلس الغرب والأخرى أسرة بنى حماد التى حكمت الجزائر[٦].

واستمرت هذه الأسرة تحكم صقلية حتى منتصف القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى، وقد تمتعت هذه الأسرة بشىء من الاستقلال، وحاول فيها الولاة الكلبيون توسيع الفتوحات داخل الجزيرة ومن خارجها إلى أبعد مدى.

ولم يحدث تغيير كبير على الخريطة السكانية لصقلية فى أوائل حكم الفاطميين وكانت

---

(1) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص٢٩- ٣٠.

(2) أحمد مختار العبادى، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ البحرية الإسلامية فى حوض البحر الأبيض المتوسط والبحرية الإسلامية فى المغرب والأندلس، جـ٢، مؤسسة شباب الجامعة، ص١١٩.

(3) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص٣٢.

(4) عطية القوصى: مصر الفاطمية وعالم حوض البحر المتوسط، ضمن كتاب مصر وعالم البحر المتوسط، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦م، ص١٤٥.

(5) عن هذه الأسرة انظر:

The Kalbids in Sicily
http:/www.glopal.net/heritag/histoire/history (15) history528.html/,pp.1-2.

(6) عطية القوصى: مصر الفاطمية، ص١٤٥.

كثافة السكان ما زالت فى إقليم (مازر)، وكان الوافدون المسلمون الجدد إلى الجزيرة من الصناع والجند والنازحين، وكان السكان النصارى ما زالوا أكثرية راسخة فى الجزء الشرقى من الجزيرة خصوصاً فى إقليم (دمنش)[1].

وفى نهاية النصف الأول من القرن الخامس الهجرى/ الحادى عشر الميلادى وبعد أن مُنيت مصر بالضعف السياسى والتدهور الاقتصادى فى عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمى ٤٢٧-٤٨٧هـ/ ١٠٣٥-١٠٩٤م، وفى عهد خلفائه من بعده، قام أمراء صقلية الكلبيون بالتحول عن الخلافة الفاطمية وقطع العلاقات معها حتى أنهم طلبوا المساعدة من بنى زيرى الذين خرجوا كذلك عن الولاء للفاطميين واعترفوا بتبعيتهم للخلافة العباسية عام ٤٤٠هـ/ ١٠٤٧م. وقد أمدهم الزيريون بالمساعدات عندما تعرضت جزيرة صقلية فى عهدهم للهجوم البيزنطى سنوات ٤٣٠، ٤٣٦هـ/ ١٠٣٨، ١٠٤٤م. وإزاء ما فعله أمراء الجزيرة الكلبيون من قطع للعلاقات مع الفاطميين حدثت اضطرابات عديدة بين أمراء الجزيرة بين مؤيد ومعارض لهذا الإجراء مما أشعل نار الفتنة فى الجزيرة. وفى هذه الأثناء كانت قوة غريبة قد بدأت فى الظهور عند مدخل البحر الأدرياتى وهى قوة النورمان، الذين كونوا لأنفسهم مع حلول عام ٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م قوة ضاربة. وفى عام ٤٥٣هـ/ ١٠٦١م أرسل الملك النورماندى روجر تنكرد قواته واحتل (مسينه) ثم تقدم جنوباً بهدف مهاجمة صقلية الإسلامية. وقد أرعب الغزو النورمانى مسلمى صقلية وطلبوا العون من المهدية سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م، وأرسل الأمير الصنهاجى بعض قواته فى العام التالى لدفع الخطر الخارجى عن الجزيرة. وبعد أن مكث هؤلاء الجند المغاربة أربع سنوات متتالية فى الجزيرة رحلوا عنها لنشوب خلافات بينهم وبين أهل صقلية تاركين الجزيرة تواجه بمفردها الغزو النورماندى[2]. وفى عام ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م قام روبرت جوسكار بمهاجمة الجزيرة بعد أن احتل (بارى)[3] آخر معاقل البيزنطيين فى إيطاليا، ونجح هذا الأمير فى فتح العاصمة

(1) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص٣٦.

(2) عطية القوصى: مصر الفاطمية، ص١٥١ – ١٥٢.

(3) بارى: استولى عليها مسلموا إفريقية وصقلية سنة ٢٢٦هـ/٨٤١م، انظر: أحمد محمد الدسوقى: الكيانات العربية الإسلامية على سواحل جنوب إيطاليا وفرنسا، ندوة العرب وأوروبا عبر عصور التاريخ، اتحاد المؤرخين العرب، ١٩٩٩م.

(بالرمو) براً وبحراً لتسقط فى يده دون أن يهرع أحد لنجدتها وبسقوط العاصمة تتابع سقوط بقية مدن الجزيرة لتصبح جميعها فى يد النورمان سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م[١].

ومن ثم تم فى بضع سنوات غزو صقلية بأسرها وساد الحكم النورماندى الجزيرة كلها واحتل سادة النورمانديين القصور كما احتل الجنود الحصون، ولاح أن كل ما كان للعرب من مجد قد ولى وانقضى ومع ذلك فإن الثقافة العربية وجدت عصب حياتها فى كيان الغزو النورماندى[٢] وأخذ عرب صقلية يعملون على الرقى بحضارتها على أسس عربية وظل حكام صقلية من النورمانديين محافظين على التقاليد الإسلامية فى الحكم والإدارة بل فى أساليب الحياة، كما ظلوا يعتمدون على مسلمى صقلية فى شتى المجالات[٣].

وقبل أن نعرض لموضوع البحث عن (عمارة صقلية فى العصر الفاطمى خصائصها وأثرها فى العمارة النورماندية). يجدر الإشارة إلى الأجناس البشرية التى وفدت إلى الجزيرة منذ عهد الأغالبة وخلال العصر الفاطمى الأول[٤] وفى عصر الأسرة الكلبية[٥] وذلك

---

(1) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص٥٨.

(2) إبراهيم خورشيد: موجز دائرة المعرف الإسلامية، جـ٢١، ص٦٥٦٣.

(3) حسن الباشا: أثر الفنون الإسلامية بصقلية وإيطاليا فى أوروبا، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية، المجلد الثانى، ط١، ١٩٩٩م، ص٨٤.

Irwin (R); Islamic Art, Laurence King, 1997, p. 275.

(4) حكم الفاطميين الأوائل صقلية منذ عام ٢٩٧هـ/٩٠٩م، وحتى سنة ٣٢٩هـ/٩٤٠م.

(5) بدأ حكم الأسرة الكلبية لصقلية سنة ٣٣٦هـ/٩٤٧م، باعتلاء الحسن بن على بن أبى الحسين الكلبى لمدة خمس سنوات ثم أبو الحسن أحمد بن الحسين سنة ٣٤١هـ/٩٥٢م، وحتى عام ٣٥٣هـ/٩٦٤م، ثم يعيش مولى الحسن بن على سنة ٣٥٩هـ/٩٦٩م، وأبو القاسم على بن الحسن العلوى ٣٥٩هـ/٩٦٩م، وجابر بن أبى القاسم على سنة ٣٧١هـ/٩٨١م، وبعده جعفر بن محمد بن أبى القاسم على ٣٧٣هـ/٩٨٣م، وبعده عبد الله أخوه ٣٧٥هـ/٩٨٥م، ثم أبو الفتوح يوسف بن عبد الله بن محمد بن أحمد بن الحسن ٣٧٩هـ، الملقب بثقة الدولة، ثم من بعده جعفر بن يوسف (تاج الدولة ٣٨٨هـ/٩٩٨م) ثم أحمد الأكحل بن يوسف (تأييد الدولة ٣٨٨هـ) ثم على بن يوسف ٤٠٥هـ وحتى٤١٠هـ/ ٨١٩م، ثم أحمد الأكحل من جديد٤١٠- ٤١٦هـ/ ١٠١٩- ١٠٢٥م، ثم الحسن الصمصام ٤١٦-٤٢٧هـ/١٠٢٥- ١٠٣٥م، ثم أول غزو نورماندى ٤٤٤هـ/ ١٠٥٢م.

انظر: زامبارو: معجم الأنساب والأسرات الحاكمة فى التاريخ الإسلامى. أخرجه زكى محمد حسن، حسن أحمد محمود، مطبعة جامعة فؤاد الأول، ١٩٥١م، جـ١، ص١٠٦- ١٠٩.

لتوضيح التأثيرات الواقعة على العمارة الفاطمية، والنورماندية[1]. فى ضوء ما وصل إلينا فى المصادر التاريخية. وكذا فى ضوء العمائر الباقية.

سكان جزيرة صقلية :

كان سكان صقلية فى عهد الأغالبة مزيجاً من كثير من الشعوب والأجناس والديانات المختلفة كالصقليين النصارى والمسلمين واليونان واللمبارد واليهود والعرب والبربر وكذلك بعض الفرس والسودان؛ وكان العرب يشكلون النخبة الحاكمة والذين وفدوا بأعداد كبيرة لفتح الجزيرة بقيادة أسد بن الفرات، بعد أن ضاق بهم حكام الأغالبة لكثرة ثورات التمرد التى كانوا يشنونها داخل البلاد[2].

وعقب الفتح – والعودة بثروات طائلة جباها التونسيون من ذلك، أنفقوها على إقامة العمائر الفاخرة، من قصور، وقلاع، وأسوار مدن مثل قصر لمطة، وقصر المنستير، وسور سوسة، وسور صفاقس، وغيرها – اتجه الكثير من أرباب الحرف والصناعات إلى هذه الجزيرة للإقامة والعمل ووجدوا فى العمل هناك نقلاً لأساليبهم البنائية والزخرفية؛ تمثلت فيما تركوه من أعمال معمارية أبقى عليها من خلفهم من ولاة الفاطميين.

وفى عصر الولاة الفاطميين لم تتغير الخريطة السكانية، فانقسم السكان – كما فى عصر الأغالبة – إلى ثلاثة أقسام:

١- **السكان النصارى**: ويشكلون أكثرية فى الجزء الشرقى من الجزيرة خصوصاً فى إقليم دمنش.

٢- **السكان المسلمون** : وكان معظمهم فى إقليم (مازر) كما ضم الوافدون المسلمون الجدد من الصناع والجند والنازحين وسكان الجزيرة الأحرار والتابعين الإقطاعيين والرقيق بنسبة قليلة جداً من المسلمين فى إقليم (نوطس).

---

(1) حكم النورمانديون باعتلاء روبرت الأول سنة٤٦٤هـ/١٠٧١م، ثم الاستيلاء على قصربانة والفتح النهائى ٤٨٤هـ/١٠٩١م، أعقبه روجر الثانى الكونت ٤٩٤هـ/١١٠٠م، ثم روجر الملك المتوفى سنة ٤٥٨هـ / ١١٥٣م، ثم وليم الأول فى نفس العام، ثم غليالم الثانى ٥٦١هـ/١١٦٦م، ثم تنكريد ٥٨٥هـ/١١٨٩م، وبعده هنرى السادس الوالى الإمبراطور ٥٩٠هـ، ثم فردريك الثانى الوالى ٥٩٤- ٦١٧هـ/١١٩٧- ١٢٢٠م.
انظر: زامبارو: معجم الأنساب، جـ١، ص١٠٦- ١٠٩.

(2) سليمان مصطفى زبيس: بين الآثار الإسلامية فى تونس ص٨؛ عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص٢٩.

٣- **سكان (بلرم)**[١] : كانوا مزيجاً من مختلف الأجناس عرب وبربر ويونان ولمبارد ويهود وصقالبة[٢] وفرس وترك وسودان[٣]. (انظر خريطة١)

وما يذكر أن جوهراً قائد الفاطميين المملوك الشهير الذى وسع رقعة سلطان الفاطميين بحيث شمل المغرب ومصر هو من أصل صقلى بيزنطى وقد شغل المسلمون الصقليون مناصب سامية فى الإدارة الفاطمية فى إفريقية ومن بينهم أبو الفتح متولى مدينة طرابلس وكان صقلى وشخص آخر يُدعى (بُشرى) أحد قادة الجيش الفاطمى ضد الخارجين على الخلافة ويُدعى (أبى يزيد)[٤].

وفى هذا العصر استمر التوافد العربى من بلاد المغرب، ومن مصر، ومن الأندلس لبناء ثقافة الجزيرة فى شتى المناحى؛ فلقد استمر المغاربة يلعبون دوراً بارزاً فى مختلف نواحى الحضارة فى صقلية. ساعد على ذلك قربها الجغرافى من بلاد الشمال الإفريقى وبخاصة تونس التى تبعد عن صقلية مسافة يوم وليلة على حد قول النويرى[٥]؛ بل أن دور مدينة سوسة التونسية كانت تُرى من صقلية، وذلك لارتفاع تلك المدينة الساحلية (سوسة) عن الأرض.

ومن هؤلاء الوافدين المغاربة عدد من فقهاء وعلماء القيروان الذين نزلوا صقلية بعد فتحها وخلال العصور التالية نتيجة لهجمة بني هلال وبني سليم سنة ٤٤٣هـ/ ١٠٥١م[٦]

---

(1) إحسان عباس: العرب فى صقلية (دراسات فى التاريخ والأدب)، دار المعارف، ١٩٥٩م، ص٦٨.

(2) الصقالبة أو السلاف اسم يطلق على تلك الشعوب المنحدرة من أصول شتى التى كانت تنزل الأراضى المجاورة لبلاد الخزر بين القسطنطينية وأرض البلغار؛ واستعمل اللفظ فى الأندلس بصيغة الجمع (صقالبة الأندلس) وهو اسم لجنس يطلق على الحرس الأجنبى الخاص بخلفاء قرطبة الأمويين، وكان الاسم يطلق أصلاً على جميع الأسرى الذين كانت تأتى بهم الجيوش الألمانية من حملاتها على الصقالبة ثم يبيعونها إلى المسلمين فى الأندلس. انظر: دائرة المعرف الإسلامية، م ١٤، ص ٢٥٠- ٢٥٢.

(3) للاستزادة عن سكان صقلية انظر:

Pellitteri (A): 1 Fatimidi,e,la Sicilia, palerma,1997,(see x),p.39- 96.
Editoriale (S); Eredita dell' Islam Arte Islamica in Italia,1994,p.183.

(4) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ص٣٦.

(5) النويرى: نهاية الأرب فى فنون الأدب، جـ٢٤، تحقيق: د. محمد نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م، ص٣٥٤- ٣٥٥.

(6) يسرى أحمد عبد الله زيدان: البناء الثقافى والعلمى لصقلية العربية٢١٢- ٤٨٤هـ/٨٢٧- ١٠٩١م، ندوة العرب وأوروبا عبر عصور التاريخ، اتحاد المؤرخين العرب، ١٩٩٩م، ص٢١١- ٢١٣.

على المغرب كما وفد من مصر وبلاد الأندلس عدد غير قليل من العلماء، وأهل الفن وأرباب الحرف، والذين وقع عليهم جميعاً التأثير الثقافى فى الصقليين حتى برز منهم العلماء الصقليين البارزين فى شتى العلوم والمعارف، وبذلك حدث تبادل علمى وثقافى بين صقلية وغيرها من بلاد الإسلام[١]. ولا شك أن لهذا النشاط الثقافى والعلمى مردوده على الحياة الفنية والعمرانية داخل صقلية حيث أنتجت صناعات عديدة ومتميزة، مثل المنسوجات الحريرية[٢]، والأخشاب المحفورة بعناصر متميزة[٣]؛ والعاج المنفذ عليه مناظر تصويرية إلى جانب صناعات خزفية متميزة[٤]، وكذلك نقوش كتابية على العمائر الإسلامية وعلى شواهد القبور تشهد بما أصابه الفنان الصقلى من رقى وما وصل إليه الخط العربى هناك من ازدهار[٥]. إلى جانب التصوير

الذى أبدع فيه إبداعاً منقطع النظير.

ولعل ما وصلنا من تحف فنية منسوبة إلى صقلية تحتفظ بها المتاحف العالمية لخير شاهد على التميز الفنى الذى وصلت إليه تلك المنتجات فى العصر الفاطمى والعصر النورماندى.

---

(1) كما انتقل علماء مغاربة إلى صقلية هرباً من فتنة الهلاليين، انتقل كذلك علماء من الأندلس إلى صقلية بسبب الفتنة الكبرى بقرطبة سنة٣٣٩هـ/١٠٠٨م، ومعهم صناع وحرفيين فظهرت تأثيراتهم على العمارة فى الفاطمية والنورماندية. انظر: يسرى أحمد عبد الله: البناء الثقافى، ص٢١٨.

كذلك انظر عن البناء الثقافى لصقلية:

Bellafiore (G); Dall' Islam Alla Maniera, Profilo dell' Architottura Sicilliana dal IX al XVI Secolo, Palermo, 1975, p.11.

(2) سعاد حسين: تأثيرات فنية إسلامية على مجموعة قطع نسيج من صقلية محفوظة بمتحف كلية الآثار، جامعة القاهرة، مجلة كلية الآداب، جامعة حلوان، يناير١٩٩٩م، ص٥٣٩، ٥٧٢.

Rice (D.T); Islamic Art, London, 1975, p.156.

; Galzier (R); Historic Textile Fabrics, London, 1923, p.48.

(3) Ettinghausen (R) & Garbar (O); The Art and Architecture of Islam, Yale University Press, 1994, pp. 204- 205.

(4) تم الكشف عن قطع من الخزف المزخرف بالبريق الأخضر الزاهى والطلاء التركوازى وذلك فى منطقة شيفلدى بصقلية والتى تبعد ٥ كيلومتر عن قلعة دونافوجسانتا بالقرب من راموزا؛ وهى تتشابه مع الخزف المنتج فى الفاطمى. انظر عن ذلك:

Tonshini (C); Fatimid Ceramics from Italy: The Archaeological Evidence, L'Egypte Fatimide son Art et son histoire, Actes du Colloque Organise a Paris, les28, 29 et 30, Mai, 1998, Presses de'l' Universite de Paris- Sorbonne, 1999, p.293.

(5) Amari (M); Le Epigrafi Arabiche di Sicilia, Palermo, 1971, pp. 154- 166.

ولقد جاء هذا التميز نتيجة تأثر الفنان بخليط من المؤثرات الفنية المختلفة إلى جانب تأثره بالفنون المحلية التى كانت راسخة القدم فى صقلية قبل الفتح الإسلامى للجزيرة وأعنى بها (الفن البيزنطى).

فلقد تأثر الفنان الصقلى بالمدرسة الفاطمية والسلجوقية فى رسمه للوجوه فجاءت بشكل (قمرى) للرجل وللمرأة على حد سواء مع تميز المرأة باختصاصها بسلافتين تتدليان ملتويتى النهايتين عكس اتجاه الأذن مع عدم رسم ضفائر وهو بهذا اختلف عن المدرسة السلجوقية التى كان الفنان فيها يرسم العيون كبيرة نسبياً تأثراً بالفن البيزنطى عكس الفنان السلجوقى الذى رسمها ضيقة جداً وبشكل لوزى فى حين أن الفنان الفاطمى رسمها واسعة[1]، كما تميز الفنان الصقلى عن زميله الفاطمى والسلجوقى برسم الصور النصفية التى تضم الصدر والرأس فقط وهو بذلك متأثر بالفنان البيزنطى الذى أتقن رسم هذه الصور[2]، كما تميز الفنان الصقلى أيضاً عن غيره من الفنانين فى الدولة الفاطمية والدولة السلجوقية برسم شعر اللحية متموجاً متأثراً فى ذلك بتقاليد المدرسة البيزنطية، كما رسم الفنان الصقلى العناصر الحيوانية المألوفة والخرافية متأثراً بما عرف فى الفن السلجوقى والبيزنطى.

أما العناصر النباتية فقد نفذوها وفقاً لما نفذه الفنان المسلم بصفة عامة من هذه العناصر، وعلى الأخص فنان شمال إفريقية وإسبانيا، فقد اقتبس منهما كثير من العناصر النباتية وطورها بحيث ظهرت على منتجاته فى ثوب جديد يميزها عن أصولها، فرسم الأوراق الرمحية، والأرابيسك، وكيزان الصنوبر، والخرشوف، والورقة الكلوية وغيرها[3]، من أوراق ثلاثية تتدلى من فم طائر أو ترسم كمهاد للكتابات التسجيلية.

أما النقوش الكتابية فقد جاءت حروفها صدى للابتكار المحلى إذ كان القرنان الثالث والرابع الهجريين فى صقلية فترة تكوين فنى تبها ظهور المدرسة الصقلية بخصائصها المميزة؛ فنجد الفنان الصقلى يبتكر بعض الوصلات الزخرفية المتصلة بحرف اللام (لفظ الجلالة) ليس لها ما يماثلها فى العالم الإسلامى كما وضعت الكاتبات الشاهدية محاطة من أعلى بعقود

(1) عبد المنعم رسلان: الحضارة الإسلامية فى صقلية وجنوب إيطاليا، تهامة، ١٩٨٠م، ص١٣٣- ١٥٤.
(2) المرجع السابق، ص١٣٣- ١٤٣.
(3) المرجع السابق، ص١٤٩- ١٥٢.

معمارية نصف دائرية وثلاثية تنتهى بفصى مروحة تخيلية[١].

أما السكة، فقد كانت تصدر فى العصر الفاطمى من دار الضرب (صقلية) فى سنة ٣٣٧هـ/ ٩٤٨م أى فى خلافة المنصور بالله؛ وكانت العملات التى تطرحها للتداول من فئة (ربع الدينار) وقد استمرت إصداراتها من هذه العملة بعد استقلالها الذاتى عن الدولة الفاطمية سنة٤١٠هـ/ ١٠١٩م وحتى سقوط بالرمو فى أيدى النورمان سنة٤٦٤هـ/ ١٠٧١م[٢].

وهكذا نتبين أن الفنان الصقلى قد أصاب قدراً من التطوير فى منتجاته الفنية التى أنتجها فى العصر الفاطمى والنورماندى ساعد على ذلك ما تميزت به الجزيرة من أهمية اقتصادية، وموقع متميز سهل لها القيام بنشاط تجارى مع الدول المختلفة مما أدى إلى الارتفاع باقتصادياتها[٣]، الأمر الذى ساعد على ازدهار فنونها وتميزها بين الفنون الأخرى المعاصرة[٤].

أما المجال العمرانى فقد شهد أيضاً ازدهاراً ملموساً منذ أن وطأت أقدام المسلمين أرض هذه الجزيرة؛ حيث شيدت المدن المسورة، وقسمت إلى أخطاط، تضم المساجد والقصور والدور، والحمامات والخانات والأسواق، وكذلك القلاع والرباطات.

وقد استمر النشاط العمرانى خلال العصر الفاطمى والعصر النورماندى؛ معتمداً على عناصر بشرية عديدة ظهرت مؤثراتها على ما خلفه هؤلاء من عمائر إسلامية بالجزيرة تحدث عنها المؤرخون وأطنبوا فى ذكرها، وبعض أوصافها. كما بقى تأثير هؤلاء على العمائر النورماندية التى لا تزال باقية، والتى يمكن من خلالها إظهار سمات العمارة الإسلامية التى شيدها المسلمون فى الجزيرة خلال العصر الفاطمى، والتى ضاعت معالمها لأسباب عديدة، لعل من أهمها احتلال النورمان لها وتغيير معالمها، وهدم أكثرها رغم استعانتهم فى تشييد

---

(1) Amari (M); Op. Cit, pp. 159- 166.

(2) وجيدة يحيى عزب رزق: النقود الإسلامية فى بلاد الشام وفلسطين وصقلية فى العصر الفاطمى، مخطوط رسالة ماجستير، كلية الآثار، ١٩٩١م، ص٨٢.

(3) تقى الدين عارف: صقلية علاقاتها بدول البحر المتوسط الإسلامية من الفتح العربى حتى الغزو النورماندى (٢١٢- ٤٨٤هـ/٨٢٧- ١٠٩١م)، العراق، ١٩٨٠م.

(4) سعاد حسين: تأثيرات فنية إسلامية، ص٥٥٩.

غيرها بعناصر إسلامية استمرت تعمل فى البلاط النورماندى حتى نهايته ودخول الجزيـرة فى تبعية الإمبراطورية الألمانية الأمر الذى ساعد على حصر خصائص هذه العمائر وبالتالى يمكن استنتاج السمات التى كانت تميز العمائر الإسلامية فى صقلية خلال العصر الفاطمى ولتوضيح ذلك جلياً يمكن تناوله فى ضوء النقاط التالية:

عمارة المدن – المساجد – القصور – القلاع.

** ** ** **

obeikandl.com